سازمان کتابخانه ها، موزه ها و مرکز اسناد آستان قدس رضوی

اداره مخطوطات

نام کتاب: انقاذ البشر من الجبر والقدر

مؤلف متن: سید مرتضی .... محشی ....

شارح .... مترجم ....

تاریخ تحریر ۱۳۰۵ نوع خط نسخ تعداد سطر ۱۶

نام کاتب ....

موضوع حکمت زبان عربی عدد اوراق ۲۱

طول .... عرض .... شماره عمومی ۳۳۰۶۱

وقفی / خریداری .... تاریخ وقف ....

ملاحظات ....

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نبتدئ رسالتنا هذه بالحمد لله ربنا على نعمه الواصلة منه الينا وعلى احسانه المتقدم الينا اذا اصبحنا بتوحيده وعدله قائلين وبرجوده في حكمه عائبين ولمعاصينا عليه غير حاملين وباثار ائمة الهدى مقتدين وبالمحكم من كتابه واياته متمسكين فالحمد لله الذي اختصنا بهذه النعمة وشرفنا بهذه الفضيلة وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي جعله رحمة للعباد اجمعين واستنقذنا به من الهلكة وهدى به من الضلالة وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما فبلغ عن ربه واجتهد في طاعته حتى اتاه اليقين وعلى اله الطاهرين سئلت اعزك الله وارسلت الي رسالة في القدر فقد جالت به الفكر واكثرها عن معرفته قد انحسرت وذكرت ان الذي حداك الى ذلك ما وجدته ظاهرا في عوام الناس ومعظم خواصها من القول بالجبر المؤدي الى الكفر المحض وتجويزهم الله في حكمه وحمل معاصيهم عليه واضافتهم القبايح اليه وتعلقهم باخبار مجهولة منكرة ومتشابهة في اللفظ مجملة وحجاجهم بالمتشابه من الكتاب لعدم معرفتهم بفايدته وقصورا

وقصورا فيما منهم عن الغرض المقصود به واعلم ان الكلام في القضاء والقدر مما عيا اكثر اهل النظر واتعب ذوي الفكر والمتكلم فيه بغير علم على غاية الخطر والذي يجب على من اراد معرفة هذا الباب وهو العلم بما يستحق الباري سبحانه من الاوصاف الحميدة وما ينتفي عنه من ضدها فانه متى علم ذلك امن ان يضيف اليه ما ليس من اوصافه او ينفي عنه ما هو منها ويتبع ذلك من الابواب ما لابد من الوقوف عليه نحو المعرفة باقوال المبطلين ومعرفة اقوال المحقين وغير ذلك مما سنبينه فيما بعد ان شاء الله تعالى واعلم ان اول ما ظهر فيما الكلام وشاع بين الناس في هذه الشريعة هو ان جماعة ظهر منهم القول باضافة المعاصي العباد الى الله سبحانه وكان الحسين بن ابي الحسن البصري ممن نفى ذلك ووافقه في زمانه جماعة وخلق كثير من العلماء كلهم ينكرون ان تكون معاصي العباد من الله منهم معبد الجهني وابو الاسود الدؤلي ومطرف ابن عبد الله ووهب بن منبه وقتاده وعمرو بن دينار ومكحول الشامي وغيلان وجماعة كثيرة لا تحصى ولم يك ما وقع من الخلاف يتجاوز باب صفات معاصي العباد الى الله سبحانه عن ذلك ونفيها عنه وغيره عن هذا الباب بيان القدر والقدر وما اشبهه فاما الكلام في خلق افاعيل العباد في الاستطاعة وفيما اتصل به الى وشاكله فانما

حدث بعده هو يقال ان اول من حفظ عنه القول بخلق افاعيل العباد جهم
بن صفوان فانه زعم ان ما يكون في العبد من كفر وايمان ومعصية فالله
فاعله كما فعل لونه وسمعه وبصره وحياته ولا انه فعل للعبد في شيء من ذلك
ولا صنع والله تعالى صانعه وان الله ان يعذبه من ذلك على ما يشاء و
يثيبه على ما يشاء وحكي عنه علما التوحيد انه كان يقول مع ذلك ان الله
خلق في العبد قوة بها كان فعله كما خلق له غذاء به يكون قوام بدنه كيف نصرف
حاله فاعلا للشيء على حقيقته فاستشنع ذلك من قول اهل العدل وانكروه
مع اشياء اخر حكيت عنه ولما احدث جهم القول بخلق افعال العباد
قبل ذلك ضرار بن عمرو بعد ان كان ضرار يقول بالعدل فانتفت عنه
المعتزلة والمرجئة فخلط عند ذلك تخليطا كثيرا وقال بمذاهب خالف
فيها جميع اهل العلم وخرج عما كان عليه واصل بن عطا وعمرو بن عبيد
بعد ما كان يعتقد فيها من العلم وصحة الراي لانه كان في الاول على
رايهما بل صحبهما واخذ عنهما ثم تكلم الناس بعد ذلك في الاستطاعة
فيقال ان اول من اظهر القول بان الاستطاعة مع الفعل يوسف
السمني وانه استنزله الى ذلك بعض الزنادقة فقبله عنه ثم قال
بذلك حسين النجار وانتصر لهذا القول ووضع فيه الكتب فصارت

مذاهب

٥٣

مذاهب المجبرة بعد ذلك على ثلاثة اقاويل احدها ان الله تعالى خلق فعل العبد
وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع وانما يضاف اليه انه فعله كما يضاف اليه
لونه وحياته وهو قول جهم والثاني ان الله تعالى خلق فعل العبد و
ان العبد فعله باستطاعة في العبد متقدمة وهو قول ضرار وحفص الفرد
والثالث ان الله تعالى خلق فعل العبد وان العبد فعله باستطاعة حدثت
له في حال الفعل لا يجوز ان تتقدم الفعل وهو قول النجار وبشر المريسي
ومحمد بن غوث ويحيى بن كامل وغيرهم من متكلمي المجبرة وعند هذا اكثر
متكلمي المجبرة الاشاعرة وغيرهم ثم تكلم الناس بعد ذلك فيما اتصل بهذا
من ابواب الكلام في العدل واختلفوا فيه اختلافا كثيرا والكلام في
ذلك من اوسع ابواب العلم وجوها واعمقها بحرا ونحن نورد لك
في هذا المعنى ما يحصل به الغرض ويتجسم به شغب الخصوم ونجعله
مخلصا وجيز اللفظ مهذب والى الفهم مقرب وابتدي في اوله بوصف
دعوة اهل الحق في ذلك واردفها بما يجب وقد وسمنا هذه الرسالة بانقام
النشر من الجبر والقدر وها نحن مبتدئون بذلك ومستعينون
بمن له الحول والقوة وهو حسبنا ونعم الوكيل **فصل** في دعوة اهل الحق و
بيانها قالت عصبة الحق ان الله جل ثناؤه اصطفى الاسلام دينا ورضيه

لعباده واختاره لخلقه ولم يجعله مولولا الى آرائهم ولا جاريا على مقادير
اهوائهم دون ان نصب له الادلة واقام عليه البراهين وارسل به الرسل
وانزل به الكتب ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وللاسلام
حدود وللقيام به حقوق وليس كل من ادعى ذلك اخرج ولا كل
من انتسب اليه صار من اهله وقد علمنا من اهل القبلة قد اختلفوا في امور انتسب ح
صاروا فيها الى ان ضلل بعضهم بعضا وكفر بعضهم بعضا وكل يدعي ان ما
ذهب اليه من ذلك وانتحله هو دين الله ودين رسوله ومعلوم عند
كل عاقل ان ذلك كله على اختلافه لا يجوز ان يكون حقا لتضاده و
اختلافه ولا بد من اعتبار ذلك وتمييزه ليتبع منه الحق ويجتنب
به الباطل وقد علمناه بالادلة الواضحة والبراهين الصحيحة التي يوافقنا
عليها جميع فرق اهل الله ان كل من خالف جملة الاسلام ما جاء به القرآن
وصح من الرسول صلعم فاذا كان الامر كذلك فواجب ان يكون كل من قال
من الائمة قولا يكون عند الاعتبار النظر خارجا مما يوجبه الاسلام
وليشهد به الرسول والقرآن واستبصار لقوله بما لا يصح اعتقاده
الاسلام معه ولا يوصل الى معرفة نعم القول به فهو محجوج في مذهبه
ومبطل في قوله ومبتدع في الاسلام بدعة ليست من دين الله

ولا من

ولا من دين رسوله قالوا وقد تدبرنا ما اختلف فيه اهل القبلة
بنظر عقولنا وعرضنا ذلك على كتاب الله سبحانه وسنة نبينا صلعم فوجدنا
اختلف الحق بذلك متميزا من الباطل تميزا يدركه كل من تدبر الكتاب و
السنة بفكره وتميز الامور بعقله ولم يجعل هواه قائدا له وتقليد من لا
حجة في تقليده فراينا من الواجب علينا في الدين ان نبين امور ذلك
للناس ولا نكتم ان ندعوهم الى الحق ونحتج له ولا نتشاغل عن ذلك و
نعرض عنه ونحن نرى ما حدث من البدع وخولف من سبيل السلف
وكيف يجوز الاعراض من ذلك والله تعالى يقول ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون واي منكر افحش واي معصية اعظم
من تشبيه الله بخلقه ومن تجويره في حكمه ومن سوء الثناء عليه و
اضافة الفواحش والقبائح اليه وكيف لا يكون كذلك وفي القول
بالتشبيه والاجبار الانخلاع من معرفة الله تعالى ومعرفة جميع رسله
اذ كل من شبه الله بشيء من خلقه لم يتهيأ له ان يثبت الله قال بما

وقد اثبت له مثلا محدثا وفى ذلك عدم العلم بالصنع والصانع والرسول
والرسل وان من اجاز على الله جل وعلا فعل الظلم والكذب وارادة
الفواحش والقبائح لم يمكن ان يثبت لرسول من رسل الله ص معجزة
اقامها الله تع لهداية الخلق دون اضلالهم ولا لرشدهم دون اغوائهم
وفى ذلك سقوط العلم بصدق الرسالة فيما دعت اليه وذلك يوجب
ان لا يكون معتقدا ولا لازما الاجبار على ثقة ويقين من صدق الرسل ولا
صحة الكتب ولا كون الجنة والنار وهذا هو الخروج من الاسلام والانخلاع
من دين محمد ص قالوا ونحن نصف قولنا ونذكر دعوتنا فليتدبر ذلك
السامع منا وليقابل به قول غيرنا فانه سيعلم ان كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد اينا اهدى سبيلا واقوم قيلا واولى بالتمسك
بالكتاب والسنة واتباع الحجة ومجانبة البدعة فاول ذلك
ان نقول ان الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والقران امامنا
والكعبة قبلتنا والمسلمون اخواننا والعترة الطاهرة من ال رسول
الله ص وصحابته والتابعين لهم باحسان سلفنا وقادة الغر المتمسكون
بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا واولياؤنا نحب من احب الله و
نبغض من ابغض الله ونوالى من والى الله ونعادى من عادى الله

ونقول

ونقول فيما اختلف فيه اهل القبلة باصول نحن نشرحها ونبينها فاولها
توحيدنا لربنا نشهد ان الله واحد ليس كمثله شئ وانه الاول قبل كل شئ
والباقى بعد فناء كل شئ والعالم الذى لا يخفى عليه شئ والقادر الذى
لا يعجزه شئ وانه الحى الذى لا يموت والقيوم الذى لا يبيد والقديم
الذى لم يزل ولا يزال حيا سميعا بصيرا عالما قادرا مدبرا غنيا غير
محتاج الى مكان ولا زمان ولا اسم ولا صفة ولا شئ من الاشياء قادر
على وجه من الوجوه ولا معنى من المعانى قد سبق الاشياء كلها بنفسه
واستغنى عنها بذاته ولا قديم الا هو وحده سبحانه عز وتعالى عن صفات
المحدثين ومعانى المخلوقين وجل وتقدس عن الحدود والاقطار و
الجوارح والاعضاء وعن مشابهة شئ او مجانسة جنس من الاجناس
او مماثلة شخص من الاشخاص وهو الاله الواحد الذى لا تحيط به
العقول ولا تتصوره الاوهام ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير الذى يعلم ما يكون قبل ان يكون ويعلم ما كان
وما سيكون وما لا يكون لو كانت كيف كان يكون قد احاط بكل شئ
علما واحصى كل شئ عددا وعلم الاشياء كلها بنفسه من غير علم احدثه
ومن غير معين كان معه بل علم ذلك كله قدامة التى لم يزل بها قادرا

عالماً حيّاً سميعاً بصيراً لانّه الواحد الّذى لم يزل قبل الاشياء كلّها
ثم خلق الخلق من غير فقر ولا حاجة ولا ضعف ولا استعانة من غير ان
يلحقه لحدوث ذلك تغيّرا ويمسه لغوب او ينتقل به الى مكان او يزول
به عن مكان اذ كان جلّ ثناؤه لم يزل موجوداً قبل مكان ثم حدثت الاماكن و
هو على ما كان فليس يحويه مكان وقد استوى على العرش بالاستيلاء و
الملك والقدرة والسّلطان وهو مع ذلك بكل مكان الدعالم مدبّر قاهر
سبحانه وتعالى عمّا وصفه به الجاهلون من الصّفات التى لا تجوز الّا
على الاجسام من الصّعود والهبوط ومن القيام والقعود ومن تصويرهم
له جسدا واعتقادهم ايّاه متشبها للعباد بيدركونه بابصارهم ويرونه
بعيونهم ثم يصفونه بالنواجد والاضراس والاصابع والاطراف وما
به فى صورة شاب امرد شعره جعد قطط وانه لا يعلم الاشياء
بنفسه ولا يقدر عليها بذاته ولا يوصف بالقدرة على ان يتكلم ولا يكلم
احدا من عباده فتعالى الله عمّا قالوا وسبحانه عما وصفوا بل هو الاله
الواحد الّذى ليس كمثله شئ وهو السّميع البصير العليم القدير الّذى
كلّم موسى تكليما وانزل القران تنزيلا وجعله ذكرا محدثا من احسن
الحديث وقرانا عربيّا من ابين الكلام وكتابا عزيزا من افضل الكتب
انزل

56

انزل
بعضه قبل بعض واحدث بعضه بعد بعض وانزل التورية والانجيل
من قبل وكل ذلك محدث كان بعد ان لم يكن والله قدير قبله لم يزل وهو
ربّ القران وصانعه وفاعله ومدبّره وربّ كل كتاب انزله وفاعل كلّ كلام احل
كلّم به من عباده والقران كلام الله ووحيه وتنزيله الذى احدثه لرسوله
وجعله هدى وسمى فيه نفسه بالاسماء الحسنى ووصفها فيه بالصّفات
المثلى لكى ليسمّيه به العباد ويصفونه ويسبحونه بها ويقدّسونه ولا
الٰه الّا الله وحده ولا قديم الا الله دون غيره من كلّ اسم وصفة ومن كلّ
كلام وكتاب ومن كلّ شئ جاز ان يذكره ذاكره او يخطر على باله مفكر
هذا قولنا فى توحيد ربّنا فاما قولنا فى عدله وهو المقصود فى هذا الكتاب
وانّما اوردنا معه غيره لانا اردنا ايراد جملة الاعتقاد فاما قولنا فى عدله
فانا نشهد انه العدل الذّى لا يجور والحكيم الذّى لا يظلم وانّه لا يظلم وانه لا
يكلّف عباده ما لا يطيقون ولا يأمرهم بما لا يستطيعون ولا يتعبدهم بما
ليس لهم اليه سبيل لانّه احكم الحاكمين وارحم الرّاحمين الذّى امرنا بالطاعة
وقدم الاستطاعة وازاح العلّة ونصب الادلّة واقام الحجّة واراد اليسر
ولم يرد العسر فلا يكلف نفسا الا وسعها ولا يحملها ما ليس من طاقتها و
لا يزر وازرة وزر اخرى ولا يأخذ احدا بذنب غيره ولا يعذبه على

ما ليس من فعله ولا يطالبه بغير جنايته وكسبه ولا يلومه على ما خلقه فيه ولا
يستبطله فيما لم يقدره عليه ولا يعاقبه الا باستحقاقه ولا يعذبه الا بما
جناه على نفسه واقام الحجة عليه فيه المنزه عن القبائح والمبرء من الفواحش
والمتعالي عن فعل الظلم والعدوان وعن خلق الزور والبهتان الذي لا
يحب الفساد ولا يريد ظلما للعباد ولا يامر بالفحشاء ولا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وكل فعله حسن
وكل صنعه جيد وكل تدبيره حكمة سبحانه وتعالى عما وصفه به القدرية المجبرة
المفترون الذين اذ اضافوا اليه القبائح ونسبوه الى جعل الفواحش وزعموا
ان كل ما يحدث في العباد من كفر وضلال ومن فسق وفجور ومن ظلم وجور
ومن كذب وشهادة زور ومن كل نوع من انواع القبائح فالله تعالى
فاعل ذلك كله وخالقه وصانعه والمريد له والمدخل فيه وانه يامر قوما من
عباده بما لا يطيقونه ويكلفهم ما لا يستطيعون ويخلق منهم ما لا يتهيأ
لهم الامتناع منه ولا يقدرون مع كونه على فعل ما امرهم به ثم يعذبهم على
ذلك في جهنم بين اطباق النيران خالدين فيها ابدا ويزعم منهم قوم انه
لشرك منهم ذلك في العدل الاطفال الصغار الذين لا ذنب لهم ولا جرم و
يجبر اخرون منهم انه يامر الله العباد وهم على ما هم عليه من هذا الخلق

وهذا

٥٧

وهذا التركيب ان يطيروا في جو السماء وان يتناولوا النجوم ويقتلعوا
الجبال ويدكدكوا الارض ويطووا السماوات كطي السجل فاذا لم يفعلوا ذلك
لعجزهم عنه وضعف بنيتهم عن احتماله عذبهم عذاب الجحيم عذابا دائما
فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وتقدس عما وصفوه به بل نقول انه العدل
الكريم الرؤوف الرحيم الذي حسنات العباد منسوبة اليه وسيئاتهم
منفية عنه لانه امر بالحسنة ورضيها ورغب فيها واعان عليها ونهى عن
السيئة وسخطها وزجر عنها وكانت طاعات العباد منه بالامر والترغيب
والنهي ولم تكن معاصيهم منه للنهي والتحذير وكان جميع ذلك من فاعله و
مكتسبه بالفعل والاحداث وكانت معاصيهم وسيئاتهم من الشيطان
بالدعاء والاغواء فاما من يخالفنا فقد افتضحوا حيث قالوا ان من الله
جور الجائرين وفساد المفسدين فهو عندهم المريد لشتمه ولقتل انبيائه
ولعن اوليائه وانه امر بالايمان ولم يرده ونهى عن الكفر واراده وانه قضى
بالجور والباطل ثم امر عباده بانكار قضائه وقدره وانه المفسد للعباد
والمظهر في الارض الفساد وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان والخير واوقعهم في
الكفر والشرك وان من انقذ وفعل ما شاء عذبه ومن رد قضائه وانكر
قدره وخالف مشيته اثابه ونعمه وانه يعذب اطفال المشركين بذنوب

اباۤئهم وانه يزر الوازرة عنده وزر اخرى وتكسف النفس على غيرها وانه خلق
الكفر خلقه للناء ولم يمكنهم من طاعته ثم امرهم بها وهو عالم بانهم لا يقدرون
عليها ولا يجدون السبيل اليها ثم استبطاهم لم لم يفعلوا ما لا يقدرون ولم
لم يوجد واما امكنهم منه وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان ثم قال انى تصرفون
وافكهم وقال وانى يؤفكون وخلق فيهم الكفر ثم قال لم تكفرون وفعل فيهم
لبس الحق بالباطل ثم قال لم تلبسون الحق بالباطل وانه دعى الى الهدى ثم
صدّ عنه ثم قال لم تصدون عن سبيل الله وقال خلق كثير منهم ان الله تعالى
منع العباد من الايمان مع قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
وانه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر
وانه ذهب بهم عن الحق ثم قال فاين تذهبون وانه لم يمكنهم من الايمان ولم يعطهم
قوة السجود ثم قال لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون وانه
فعل بعباده الاعراض عن التذكرة ثم قال فما لهم عن التذكرة معرضين وانه مكر
باوليائه المحسنين وينظر لاعدائه المشركين لان العبد عندهم محمد في طاعته
هو كذلك وعلى ذلك اذ خلق فيه الكفر واراد له الشرك ونقله الى ما يسخط وبينهما
عبد محمد في الكفر به والتكذيب له اذا نقله من الكفر الى الايمان وهو عندهم
لعدوه انظر منه لوليه فليس يبقى وليه بولايته ولا يوهب عدوه من عداوته

مما يجب

وانه

وانه يقول للرسل اهدوا الى الحق من عنه فقد ضللت وامنوا عبادي ان يفعلوا
ما شئت واردت وامروهم ان يرضوا بما قضيت وقدرت لانه عندهم
شاء الكفر واراد الفجور وقدر الخيانة ولولا كراهة الاكثار لاتينا على
وصف مذاهبهم وفيما ذكرناه كفاية في تقبيح مذهبهم والحمد لله على قوة الحق
وضعف الباطل **فصل** ان سئل سائل فقال اتقولون ان الخير والشر من الله تعالى
قيل له ان اذا اردت ان من الله العافية والبلاء والفقر والغنى والصحة والسقم
والخصب والجدب والشدة والرخاء فكل هذا من الله تعالى وقد سمى شدايد الدنيا
شراً وهي في الحقيقة حكمة وصواب وحق وعدل وان اردت ان من الله الفجور
والفسوق والكذب والغرور والظلم والكفر والفواحش والقبايح فمعاذ الله
ان نقول ذلك بل الظلم من الظالمين والكذب من الكاذبين والفجور من الفاجرين
والشرك من المشركين والعدل والانصاف من رب العالمين وقد اكذ الله تعالى ما
قلنا فقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً
من عند انفسهم ولم يقل من عند خالقهم فعلمنا ان المعصية من عباده وليس هي
من قبله وقال عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فعلمنا ان الكذب والكفر ليس من

عند الله واذا لم يكن من عند الله فليس من فعله ولا من صنعه وقال عز وجل
لبئس ما قدمت لهم انفسهم وما قدمت انفسهم لم يقدمه لهم ربهم وقال فطوعت
له نفسه قتل اخيه ولم يقل حمله على القتل ربه ولا الجاه اليه خالقه وقال وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فاخبر انهم جاؤا بالاد ولم يقل انا جئت به
فادخلت قلوبهم وقال ان دعوا للرحمن ولدا فاخبر انهم هم ادعوا الولد ولم يدعه
لنفسه ثم اخبر جل وعز عن الانبياء لما عوتبوا على ترك مندوب وما اشبهه
اضافوا ما ظهر من الاخلال بالافضل من الافعال الى انفسهما ولم تضفها الى
خالقهما فقال آدم ع وحواء ع ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وقال يعقوب ع لبنيه بل سولت لكم انفسكم امرا ولم يقل
سول لكم ربكم وقال بنو يعقوب يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
ولم يقولوا ان خطايا من ربنا وقال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه يعني ان نضيق عليه كما قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يعني يضيق فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين فاقر على نفسه ولم يضفه الى ربه وقال موسى ع رب
ظلمت نفسي من بعد ما قال فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل

الشيطان

الشيطان ولم يقل عمل الرحمن وقال يوسف ع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي وقال الله تعالى لنبينا ص قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما
يوحي الي ربي وقال فتى موسى اني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ولم يقل وما
انسانيه الا الرحمن فما قالوه موافق لقول الله سبحانه يا ايها الذين امنوا انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون فقال رجس من عمل الشيطان
ولم يقل من عمل الرحمن وقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
فعلمنا ان ما اراد الشيطان غير ما اراد الرحمن واخبر ان الشيطان يصدكم عن
ذكر الله ولم يقل الرحمن يصدكم عن ذكر الله وقال انما النجوى من الشيطان ولم يقل
من الرحمن وقال لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة يعني بوسوسته وخديعته
وقال عز وجل لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون فاخبر ان الشيطان اضلهم عن الحق
وقال ان الشيطان ينزغ بينكم وان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا وقال تعالى و
قال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ولم يقل لا

لوموا انفسكم صح

تلوموني ولوموا ربكم لانه افسدني وافسدكم وكفرني وكفركم ولو قصد الى الاخبار عما اضافه الله تعالى الى الشيطان من معاصي العباد لكثر ذلك وطال به الكتاب

فصل فان قال قائل ما الدليل على ان الله تعالى لم يفعل افعال عباده وان فعل العبد غير فعل رب العالمين قيل له الدليل على ذلك من كتاب الله ومن اخبار رسول الله ومن اجماع الامة ومن حجج العقول فاما ما يدل على ذلك من كتاب الله فقوله سبحانه وتعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء فلما لم يكن الكفر متقنا ولا محكما علمنا انه ليس من صنعه وقال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون وقد علمنا ان الله تعالى قد جعل وخلق الشاة والبعير وانما نفى عن نفسه ما فعلوه من الشق الذي فعلوه في اذان انعامهم فعلمنا ان ما نفاه الله تعالى عن نفسه هو كفر العباد وفعلهم وقال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه فلما لم يكن الكفر حسنا علمنا انه ليس من خلقه ولا من فعله لان خلق الله هو فعله وقد قال الله تعالى يخلق ما يشاء وقال كذلك الله يفعل ما يشاء واخبر ان خلقه وفعله واحد ثم ان قال قائل منهم ان الكفر حسن لانه خلقه الله تعالى قيل له لو جاز ان يكون حسنا لان الله تعالى خلقه جاز ان يكون حقا وصدقا وعدلا وصلاحا فلما لم يجز ان يكون الكفر حقا ولا صدقا ولا عدلا ولا صلاحا لم يجز ان يكون حسنا ولو كان الكفر حسنا لكان الكافر محسنا اذ فعل حسنا فلما كان الكافر مسيئا مفسدا كاذبا

جابرا

جابرا مبطلا علمنا ان فعله ليس بحسن ولا حق ولا صدق ولا عدل ولا صلاح وقال الله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ولو كان فاعلا لها لكان قد انزل بها اعظم السلطان والحجة وقال واتخذوا من دون الله الهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والله قد جعل الاجساد كلها وانما نفى عن نفسه ان يكون قولهم لازواجهم وقولهم لاولادهم انتم امهاتنا وابناؤنا ثم اخبر انه لا يقول الا حقا وان الكذب ليس من قوله ولا فعله وقال عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون فاخبر انهم جعلوا له شركاء ولو كان الجاعل لما كان قد جعل لنفسه شركاء ولا يخلو من ان يكون هو جعل لنفسه شركاء دونهم او يكونوا هم الذين جعلوا له شركاء وهو عن ذلك متعال ولم يفعله ولم يجعله ولو كان هو الذي جعل لنفسه شركاء دون عباده وان كان هو جعل ما جعلوا لكان قد جعل لنفسه شركاء كما جعل ذلك عباده وكان قد شارك عباده في شركهم وكفرهم ومن جعل لله شريكا فقد اشرك بالله غيره ويجعلون لله البنات وقال ويجعلون لله ما يكرهون وقال وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله فلو كان جاعلا لما جعلوه من الكفر لكان قد جعل لنفسه ما يكره وجعل لنفسه اندادا جل الله عن

ذلك وقال عز وجل واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون فنفى ان يكون جعل من دونه الهة فعلمنا ان اتخاذ
الالهة من دون الله لم يجعله الله وقال عز وجل اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فلو كان هو الذي جعل في قلوبهم لم يقل هم الذين جعلوا
الحمية وان قالوا انا انكرت ان يجعل ما جعل العباد قيل له لو جاز ان يكون جاعلا
لما جعله العباد لكان عادلا بعدل العباد ومصلحا باصلاح العباد وجائرا
بجور العباد ومفسدا بفساد العباد وكاذبا بكذبهم اذ كان لكذبهم وفسادهم و
جورهم فاعلا فلما لم يجز ما ذكرناه علمنا ان الله لم يجعل ما جعله العباد وقال تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون فنفى عن نفسه ان يكون
كفرهم من عنده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال عز وجل واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وقال تعالى انهم يكيدون كيدا فلو
كان الله فعل الكيد والمكر بالنبي ص كان قد مكر بنبيه وكاده تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا وقال تعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولو كان اتخاذهم الولد فعل الله كان قد اتخذ ولدا ولو
كان قد فعل عباده فعله كان له شريك في الملك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

ولو

ولو قصدنا الى الاستقصاء ما يدل على مذهبنا في ان الله لم يفعل الظلم والجور و
الكذب وسائر افعال العباد لطال بذلك الكتاب وفيما ذكرنا كفاية والحمد لله
رب العالمين فاما ما روي عن النبي ص من اضافة الحسن الى الله تعالى والسوء
الى العباد ما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
اضمنوا لي اشياء اضمن لكم الجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال لا تظلموا عند
قسمة مواريثكم ولا تجبنوا عند قتال عدوكم وامنعوا ظالمكم من مظلومكم
وانصفوا الناس من انفسكم ولا تغلوا غنائمكم ولا تحملوا على الله ذنوبكم و
روي عن ابي هريرة انه قال اتى رجل من خثعم الى النبي ص فقال يا رسول
الله متى يرحم الله عباده قال يرحم الله عباده ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون
هي من الله وروي عن النبي ص انه قال خمسة لا تطفى نيرانهم ولا تموت ديدانهم
رجل اشرك بالله ورجل عق والديه ورجل سعى باخيه الى سلطان جائر
فقتله ورجل قتل نفسا بغير نفس ورجل حمل على الله ذنبه وروي عنه
انه قال اتاني جبرئيل فقال يا محمد خصلتان لا ينفع معهما صوم ولا صلاة
الاشراك بالله وان يزعم عبد ان الله يجبره على معصيته ومن ذلك
ما روي عن بن مسعود انه سئل عن امرأة توفي عنها زوجها ولم يفرض
لها صداقا فقال اقول فيها برايي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ

فمني ومن الشيطان وروي عن ابي هريرة انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام
بالليل الى الصلوة قال لبيك وسعديك الخير في يديك والشر ليس اليك وروي
عن حذيفة عن النبي صلعم انه قال اذا دعي بي يوم القيمة اقوم واقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك وروي عن انس انه قال قال رسول الله صلعم
في هذه الامة اقوام يعملون بالمعاصي ويزعمون انها من الله فاذا رايتموهم
فكذبوهم ثم كذبوهم وما اشبه هذه الاخبار كثير ولو قصدنا الى ذكرها لطال بها
الكتاب وانما نذكر من الباب التي ينبه بها على الحقوق واما حجة العقول
على ان الله لم يفعل افعال العباد وان فعل الخلق غير خلق رب العالمين
فهو انا وجدنا من افعال العباد ما هو ظلم وعبث وفساد وفاعل الظلم ظالم و
فاعل العبث عابث وفاعل الفساد مفسد فلما لم يجز ان يكون الله مفسد
علمنا انه لا يفعل الظلم ولا العبث ولا الفساد وايضا فان افعالهم التي هي
محكمة ما هو طاعة وخضوع وفاعل الطاعة مطيع وفاعل الخضوع خاضع
فلما لم يجز ان يكون الله مطيعا ولا خاضعا علمنا انه لا يفعل الطاعة ولا الخضوع
وايضا فان الله لا يجوز ان يعذب العباد على فعله ولا يعاقبهم على
صنعه ولا يامرهم بما يفعله خلقه فلما عذبهم على الكفر وعاقبهم على الظلم و
امرهم يفعلوا الايمان علمنا ان الكفر والظلم والايمان ليس من فعل الله

ولا

ولا من صنعه ومما يبين ما قلنا انه لا يجوز ان يعذب العباد على طولهم
وقصرهم والوانهم وصورهم لان هذه الامور هي فعله وخلقه فيهم فلو كان الكفر
والفجور فعل الله تع لم يجز ان يعذبهم على ذلك ولا ينهيهم عنه ولا يامرهم بخلافه
فلما امر الله العباد بالايمان ونهيهم عن الكفر ولم يجز بان يامرهم بان يفعلوا
طولهم وقصرهم والوانهم وصورهم علمنا ان هذه الامور فعل الله وان
الطاعة والمعصية والايمان والكفر فعل العباد وايضا فلو جاز ان يفعل العبد
فعل ربه وان يكسب خلق الهه كما قال مخالفونا ان العباد فعلوا فعل ربهم لجاز
ان يكون كلامهم كلام الله فيكون كلام العبد كلام ربه كما كان كسب العبد
فعل خالقه فلما لم يجز ان يكون كلام العبد كلام خالقه لم يجز ان يكون فعل
العبد فعل خالقه ولا كسب العبد صنع خالقه فيثبت ان افعال العباد
غير فعل رب العالمين وايضا فان لا يخلو الظلم خالقه وقولهم وفعلهم
من ان يكون بخلقه الظالم عادلا او ظالما او مصيبا بذلك او مخطئا
فلو كان الله بخلقه الظلم عادلا لكان الظلم عدلا وصوابا لانه لا يجوز ان
يصيب الا بفعل الصواب ولا يعدل الا بفعل العدل ولو كان الكفر والعدل الظلم صح
صوابا وعدلا لكان الكافر والظالم مصيبين عادلين بالظلم ولا مصيبا
بفعل فثبت ان الله لا يجوز ان يفعل الظلم والخطا والفسوق والفجور

بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب وايضا فلو جاز ان يفعل الله الظلم
ولا يكون ظالما لجاز ان يخبر بالكذب ويقوله ولا يكون كاذبا فلما لم
يجز ان يكون الله يقول الكذب لان القائل المخبر بالكذب كاذب كذلك
لم يجز ان يفعل الظلم لان الفاعل للظلم ظالم فلما لم يجز ان يكون عز وجل
ظالما لم يجز ان يكون للظلم فاعلا ثبت ان الظلم ليس من فعل الله ولا الكذب
من قوله سبحانه وبحمده وايضا فان الله سخط الكفر وعابه وذم
فاعله ولا يجوز على الحكيم ان يذنب العباد على فعله ولا يعيب صنعه
ولا يسخط بل يجب ان يرضى بفعله لان من فعل ما لا يرضى به فهو
غير حكيم ومن يعيب ما صنعه ويصنع ما يعيب فهو معيب والله تعالى
يتعالى عن هذه الصفات علوا كبيرا فلما لم يجز على ربنا ان يعيب ما صنع و
لا هو يسخط ما يفعل علمنا ان افعال العباد غير فعل رب العالمين وايضا
فان الله قال في كتابه ولا يرضى لعباده الكفر وقال ذلك بانهم اتبعوا ما
اسخط الله وكرهوا رضوانه فالله احكم واعدل من ان يسخط من فعله
ويغضب من خلقه ويفعل ما لا يرضى به وايضا فان الفاعل للفاحشة
والظلم والكفر اكثر استحقاقا للذم من الامر بالفاحشة والكفر فلما لم
كان الامر بالكفر والظلم والفواحش غير حكيم كان الفاعل لذلك والمحدث

له

له غير حكيم فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا انه غير فاعل للكفر ولا محدث
للظلم ولا مبتدع للقبائح ولا مخترع للفواحش وثبت ان الظلم فعل
الظالمين والفساد فعل المفسدين والكذب فعل الكاذبين وليس لشيء
من ذلك فعل رب العالمين وايضا فانه لا يخلو افعال العباد من ان
تكون كلها فعل رب العالمين لا فاعل لها غيره او ان تكون فعله وفعل
خلقه وكسبهم وان تكون فعل العباد وليست بفعل الله فلما لم يجز
ان يكون تعالى منفردا بالافعال ولا فاعل لها غيره لانه لو كان كذلك كان
لا يجوز ارسال الرسل وانزال الكتب ولبطل الامر والنهي والوعد والوعيد
والحمد والذم لانه لا فعل للعباد ولوجب ايضا ان يكون هو الفاعل
لشتم نفسه واللعن انبيائه وللفسوق والفجور والكذب والظلم والعبث
والفساد ولو كان ذلك منه وحده كان هو الظالم والكاذب والعابث الظالم
والمفسد اذا كان لا فاعل للظلم والعبث والكذب والفساد غيره
ولو كان فاعلا لما فعله العباد كان هو الفاعل للظلم الذي فعله
العباد والكذب والعبث والفساد وكان يجب ان يكون ظالما كما
انهم ظالمون وكان عابثا مفسدا اذا لم يكونوا الفاعلين لهذه
الامور دونه ولا هو الفاعل لها دونهم فلما بطل هذان الوجهان ثبت

الثالث وهو ان هذه الافعال عمل العباد وكسبهم وانها ليست من فعل
رب العالمين ولا صنعه ولو قصدنا الى استقصا ادلة اهل العدل في هذا
الباب لطال بذلك الكتاب ومما يسئل عنه من زعم ان فعل العباد
هو فعل الله وخلقه ان يقال له اليس من قولك ان الله محسن للعباد
المومنين اذ خلق فيهم الايمان وبين بفعل الايمان فان قالوا لا نقول
ذلك زعموا ان النبي صلعم لم يحسن في تبليغ الرسالة وكفى بهذا خزيا لهم
فان قالوا ان الانسان المومن محسن بفعل الايمان وكسبه ويقال لهم فقد
كان احسان واحد من محسنين من الله ومن العبد فان قالوا بذلك
قيل لهم فما انكرتم ان يكون اساءة واحدة مسيئين فيكون الله عز و
جل بما فعل من الاساءة التي العبد بها مسيء كما كان محسنا بالاحسان الذي
العبد به محسن فان قالوا انه مسيء باساءة العباد لزمهم ان يكون
ظالما لظلمهم وكاذبا بكذبهم ومفسدا لفسادهم كما كان مسيئا باساءتهم
فان قالوا لا يجوز ان تكون اساءة واحدة بين مسيئين قيل لهم فما
انكرتم ان لا يكون احسان واحد بين محسنين ولا يجدون من
هذا الكلام مخرجا والحمد لله رب العالمين وكلما اعتلوا بعلة عورضوا
بمثلها ويقال لهم اليس الله نافع للمومنين بما خلق فيهم من الايمان فمن

قولهم

قولهم نعم فيقال لهم والعبد نافع لنفسه بما فعل من الايمان فاذا قالوا نعم قيل
لهم فقد ثبت ان منفعة واحدة من نافعين هي منفعة من الله بالعبد
بان خلقها ومنفعة من العبد بان اكتسبها فان قالوا نعم قيل لهم وكذلك
الكفر وضر الله به الكفار بان خلقه وضر الكافر نفسه بان اكتسب الكفر
فاذا قالوا بهذا قيل لهم فما انكرتم ان يكون الله قد افسد الكافر بان خلق
الفساد ويكون الكافر هو افسد نفسه بان اكتسب الفساد فان قالوا فساده
نعم قيل لهم فما انكرتم ان يكون الكافر جائرا على نفسه فما اكتسب من الجور
فان قالوا جائر قيل لهم فما انكرتم ان يكون الله جائرا على نفسه بما فعل
من الجور انها كما قلتم في الكافر فان قالوا جائر خرجوا من دين اهل
القبلة وان قالوا لا يجوز ان يكون الله جائرا بما فعله العباد من الجور
قيل لهم وكذلك فما انكرتم ان لا يكون مفسدا لفسادهم ولا ضارا لهم
بضررهم فان قالوا بذلك قيل لهم فما انكرتم ان لا يكون فاعلا لما فعلوه
من الكفر والفساد وان يكون فعله غير فعلهم وكلما اعتلوا بعلة في
هذا الكلام عورضوا بمثلها ويقال لهم اليس الله نافعا للعباد المومنين
بما خلق فيهم من الايمان فان ابوا ذلك وزعموا ان النبي صلعم ما نفع احدا
ولا احسن الى احد قيل لهم فما انكرتم ان لا يجب على المومنين شكره ولا

حمده اذ كان غير نافع لهم ولا محسن اليهم وان قالوا ان النبي صلعم قد نفعهم
بدعائه اياهم الى الايمان قيل لهم افليس ما خلق فيهم من الايمان انفع لهم من
النبي صلى الله عليه وآله اذ دعاهم الى الايمان فلا بد لهم من نعم لان النبي صلعم
قد يجوز ان يدعوهم الى الايمان فلا بد لهم من نعم يحسبون اليه ولا يجوز
ان يخلق الله فيهم الايمان الا وهم مؤمنون فيقال لهم افليس الله قد ضرّ
الكافر في قولهم بما خلق فيه من الكفر فمن قولهم نعم قد ضرهم ابليس وسوس
الى احد بمعصية ولا يجب ان يذمّ على شيء من افعاله ورووا ايضا مع
ذلك كتاب الله لان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ويقال لهم ايما اعظم المضرة التي فعلها الله تعالى
بالكافر من خلق الكفر فيه او المضرة التي فعلها ابليس من دعائه اياهم
الى الكفر فان قالوا ان منفعة الله للمؤمنين اعظم من المضرة التي خلقها
الله فيهم وهي خلق الله الكفر فيهم قيل لهم فما انكرتم ان يكون منفعة النبي صلعم
للمؤمنين اعظم بدعائه اياهم الى الايمان فان قالوا المضرة التي فعلها بهم
ابليس لعظم منفعة من الله لهم بخلق الايمان فيهم قيل لهم فما انكرتم ان
تكون مضرة الله للكافرين في خلق الكفر فيهم اعظم من مضرة ابليس
بدعائه اياهم الى الكفر فان قالوا بذلك قيل لهم فقد وجب عليكم ان الهكم

اضرّ

65

اضرّ على الكافر من ابليس فاذا قالوا انه اضر عليهم من ابليس قيل لهم فما انكرتم
ان يكون شرا عليهم من ابليس كما كان اضر عليهم من ابليس كما قلتم ان الله
انفع للمؤمنين من النبي صلعم وخير لهم من النبي صلعم فان قالوا ان الههم شر من
ابليس فقد خرجوا من دين اهل القبلة وان ابوا ذلك لم يجدوا منه
مخرجا مع التمسك بقولهم ويقال لهم اتقولون ان الله ضرّ الكفار في
دينهم فمن قولهم نعم يقال لهم فما انكرتم ان يغشّهم في دينهم كما انه ضرهم في
دينهم فان قالوا ان الله لا يضر العباد في اديانهم قيل لهم والله لا يضرهم
في ايمانهم وان قالوا ان الله يغرّهم في اديانهم قيل لهم فما انكرتم ان يموّه
عليهم ويخدعهم عن اديانهم وان قالوا بذلك شتموا الله اعظم الشتيمة
وان قالوا ان الله لا يخدع احدا عن دينه ولا يغرّ احدا عن دينه قيل
لهم فما انكرتم ان لا يجوز ان يضره في دينه وكلما اعتلوا بعلة عورضوا
بمثلها ويقال لهم اتقولون ان الله ضرّ الكافر النصراني في دينه اذ جعله
نصرانيا وخلق فيه الكفر وكذلك اليهودي فان قالوا نعم وهو قولهم
يقال لهم فما انكرتم ان يفسده في دينه فيكون مفسدا للعباد في
اديانهم فان قالوا انه مفسد لهم في اديانهم قيل لهم افيجب عليهم شكره
وهو قولهم مفسد لهم فان قالوا لا يجب شكره صح كفرهم وان قالوا انه

يجب ان يشكره قيل لهم على ماذا ايشكره فان قالوا على الكفر فقد افتضحوا وبان
خزيهم وان قالوا ايشكره على ما خلق فيهم من الصحة والسلامة قيل لهم اوليس
هذه الامور عندكم قد فعلها مضرة عليهم في دينهم ليكفروا ويصيروا الى
النار فكيف يكون ما به اهلكم نعمة عليهم فاذا جاز ذلك ان يكون من
المعطي خبيصا مسموما ليقتله به منعما عليه ومحسنا اليه فان قالوا لا يكون
محسنا الى الكافر بهذه الامور اذا انما فعلها فيهم ليكفروا ويصيروا الى
النار فلابد لهم ان لا يروا الشكر لله على العباد واجبا فيخرجوا من دين
اهل القبلة ويقال لهم اليس الله يفعله للصواب مصيبا فمن قولهم نعم
يقال لهم فاذا زعمتم انه قد جعل الخطاء فما انكرتم ان يكون مخطئا فان
قالوا انه مخطئ بان كفرهم وان قالوا لا يكون يفعله للخطاء مخطئا
قيل لهم فما انكرتم ان لا يكون يفعله للصواب مصيبا كما لم يكن بفعله
للخطاء مخطئا وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ويقال لهم اليس الله عز
وجل مصلحا للمؤمنين بما خلق فيهم من الصلاح فاذا قالوا نعم قيل
لهم فما انكرتم ان يكون ظالما بما خلق فيهم من الظلم فان ابوا ذلك يسئلوا
الفصل بينهما ولن يجدوه وان قالوا انه ظالم فقد وضح شتمهم انه
ويقال لهم اتقولون ان الله مصيب عادل في جميع ما خلق فاذا قالوا نعم
قيل

امر على الكافرين من ابليس فاذا قالوا انه اشر عليهم من ابليس قيل لهم فما
انكرتم ان يكون شرا عليهم من ابليس قيل لهم فما انكرتم ان يكون جميع ما
خلق صوابا وعدلا اذ كان عادلا مصيبا لخلقه فان قالوا ان جميع ما خلق
عدل وصواب قيل لهم افليس من قولكم ان الظلم والكفر والخطاء عدل و
صواب فان قالوا ان ذلك عدل وصواب قيل لهم فما انكرتم ان يكون حقا
وصلاحا فان قالوا بذلك فقد وضح فساد قولهم ولزمهم ان يكون
الكافر عادلا بفعله الكفر وان يكون مصيبا محقا مصلحا اذ كان فعله
عدلا وصوابا وحقا وصلاحا فان ابوا ان يكون الكفر صلاحا وصوابا
وحقا وعدلا قيل لهم فما انكرتم ان لا يكون بفعله الجور عادلا ولا بفعله
الخطاء مصيبا ولا بفعله الفساد مصلحا فان قالوا بذلك قيل لهم فما
انكرتم ان لا يكون الخطاء والجور من فعله اذ كان مصيبا عادلا في
جميع فعله فان قالوا بذلك تركوا قولهم وصاروا الى قول اهل الحق ان
الله لا يفعل الخطاء ولا الجور ولا الباطل ولا الفساد ويقال لهم
اتقولون ان الله يفعل الظلم ولا يكون ظالما فمن قولهم نعم يقال
فما الفرق بينكم وبين من قال انه ظالم وانه لا يفعل ظلما وان قالوا
لا يجوز ان يكون ظالما الا من فعل ظلما قيل لهم وكذلك لا يجوز

ان يكون للظلم فاعلا ولا يكون ظالما بل يجب ان يكون من كان للظلم
فاعلا ان يكون ظالما ويقال لهم اليس من قولكم ان الله خلق الكفر في
الكافرين ثم عذبهم عليه فاذا قالوا نعم يقال لهم فما انكرتم ان يضطرهم
الى الكفر ثم يعذبهم عليه فان قالوا لو اضطرهم الى الكفر لم يكونوا مامورين
ولا منهيين لانه لا يجوز ان يؤمروا ولا ينهوا بما اضطرهم اليه وقيل
لهم ولو كان الكفر قد خلق فيهم لم يكونوا مامورين ولا منهيين لانه لا يجوز
ان يؤمروا ولا ينهوا بما خلق الله فيهم وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها
وان قالوا ان الله اضطرهم الى الكفر قيل لهم فما انكرتم ان يكون قد حملهم
عليه واجبرهم عليه واكرههم فان قالوا بذلك فقد صاروا الى قول جهم
انه لا فعل للعباد وانما هم كالحجارة تقلب وان لم يفعل شيئا كالابواب تفتح
وتغلق وان لم تفعل شيئا ولزمهم ما الزمهم جهما فان صاروا الى قول
جهم قيل لهم اذ اجاز عندكم ان يعذب الله العباد على ما لم يكن منهم بل
يعذبهم على ما اضطرهم اليه وحملهم عليه فما انكرتم ان يعذبهم على الوانهم
وصورهم وطولهم وقصرهم فان قالوا بذلك قيل لهم فلم لا يجوز ان يعذبهم
لم خلقهم وخلق السموات والارض فان قالوا بذلك سقطت مؤنتهم
ولم يامنوا لعل الله سيعذبهم قوما على ما ذكرنا وان قالوا لا يجوز ان يعذبهم

على

٦٧

على ما ذكرتم قيل لهم فما انكرتم ان لا يجوز ان يعذبهم على ما اضطرهم اليه و
جبرهم عليه ويقال لهم ان صاروا الى قول جهم اذ زعمتم ان لا فاعل الا الله
فما انكرتم ان يكون لا قائل الا الله فان قالوا بذلك قيل لهم فما انكرتم ان يكون
هو القائل اني ثالث وان لي ولدا وهو الكاذب بقول الكاذب ولزمهم
ان يكون جميع اخباره كذبا وان قالوا لا يجب ان يكون لا قائل الا الله
لان هذا يوجب ان يكون انه ظالم عابث اذ لم يفعل الظلم والعبث غيره
وان امتنع القوم من ان يقولوا ان اضطرهم الى الكفر قيل لهم فما انكرتم ان
لا يكون قد خلق فيهم الكفر كما لم يضطرهم اليه ويحملهم عليه ويقال لهم اليس — فيكم صح
انه تع خلق الكفر والايمان وامر بالايمان ونهى عن الكفر واثاب على الايمان
وعاقب على الكفر فاذا قالوا نعم قيل لهم فقد امر الله تع العباد ان يفعلوا
خلقه ونهيهم من خلقه لان الله تع غضب من الكفر وسخطه وهو
خلقه فان قالوا بذلك قيل لهم فلم لا يجوز ان يغضب من كل خلقه كما
غضب من بعض خلقه ولم لا يجوز ان يامر وينهى العباد ويثيبهم و
يعاقبهم على السواد والبياض والطول والقصر كما امرهم بخلقه ونهيهم
عن خلقه واثابهم وعاقبهم على خلقه ويقال لهم اليس الله تع قد فعل
الظلم وليس بظالم من قولهم نعم يقال لهم فما انكرتم ان يخبر بالكذب ولا يكون

كاذبا فان قالوا بذلك لم يأمنوا ان جميع اخباره عن الغيب والحساب و
الجنة والنار كذب وان لم يكن كاذبا وان قالوا لا يجوز ان يخبر بالكذب
الا كاذب قيل لهم فما انكرتم ان لا يفعل الظلم الا ظالم فان قالوا لا يجب ان
يكون الله ظالما لانه انما فعل ظلم العباد قيل لهم فما انكرتم ان لا يكون
كاذبا لانه انما قال كذب العباد ولم يجدوا مما سئلناهم عنه محيصا مخلصا .
ويقال لهم اليس الله قد فعل عندكم شتم نفسه ولعن انبيائه فان
قالوا نعم قيل لهم فما انكرتم ان يكون شاتما لنفسه لاعنا لانبيائه فان
قالوا انه شاتم لنفسه لاعن لانبيائه فقد سقطت مؤنتهم وخرجوا
من دين اهل القبلة وان قالوا ان الله لا يجوز ان يشتم نفسه ولا يلعن
انبيائه قيل لهم فما انكرتم لا يجوز ان يفعل شتم نفسه ولا لعن انبيائه
وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها **فصل** قد كان الاولى ان لا
يدل على مثل هذه المسئلة اعني ان افعال العباد فعلهم وخلقهم لان النكر
لذلك ينكر المحسوسات التي قد تبين صحتها ولولا ما رجوته من زوال
شبهة ومن وضوح حجة تحصل القارى لكتاب هذا لما كان هذا الباب
مما ينتشر فيه القول ولا اعجب ممن ينفي فعله مع علمه بانه يقع بحسب اختياره
ودواعيه ومقاصده نعوذ بالله من الجهل فانه اذا استولى وعم وطبق

٦٨

وعمّ وقد قال الرسول الصادق صلعم حبك للشي يعمي ويصم وقد قال الله سبحانه
في قوم عرفوا الحق ثم عاندوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين **فصل** فان قال منهم قائل ما ذا انفيتم
ان يكون الله فاعلا لافعالكم افتقولون انه قضى اعمالكم قيل له ان الله
قضى الطاعة اذا امر بها ولم يقض الكفر والفجور والفسوق فان قال فما
الدليل على ما قلتم قيل له من الدليل على ذلك قول الخالق الصادق عز و
جل والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضي
بالباطل لانه لو جاز ان يتمدح بانه يقضي الحق وهو يقضي غير الحق ويقضي
بالباطل لجاز ان يقول والله يقول الحق وهو يقول غير الحق فلما كان قوله و
الله يقول الحق دليل على انه لا يقول غير الحق كان قوله يقضي الحق دليل على انه
لا يقضي غير الحق ويدل على ذلك قوله تعالى والله يقضي بالحق كله فعلمنا انه
يقضي بالحق ولا يقضي بالباطل لانه لو جاز ان يتمدح بان يقضي الحق وهو
يقضي غير الحق ويقضي بالباطل لجاز ان يقول والله يقول الحق وهو
يقول غير الحق فلما كان قوله والله يقول الحق دليل على انه لا يقول غير
الحق كان قوله يقضي الحق دليلا على انه لا يقضي غير الحق ويدل على ذلك
قوله تعالى والله يقضي بالحق فعلمنا انه يقضي الحق ولا يقضي الجور ويدل

على ذلك قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً
فعلمنا انه لم يقض عبادة الاصنام والاوثان ولا عقوق الوالدين ومما يبين
ذلك ان الله اوجب علينا ان نرضى بقضائه ولا نسخطه واوجب علينا
ان نسخط الكفر ولا نرضاه فعلمنا ان الكفر ليس من قضاء ربنا ومما يبين
ذلك ان الله تعالى اوجب علينا ان ننكر المنكر وان نمنع الظلم فلو كان
الظلم من قضاء ربنا لكان قد اوجب علينا ان ننكر قضائه وقدره فلما
لم يكن ان يوجب الله انكار قضائه ولا رد قدره علمنا ان الظلم ليس من
قضائه ولا قدره وايضا قال الله في كتابه ويقتلون النبيين بغير الحق
وقال يقضي بالحق فعلمنا انما كان بغير الحق غير ما قضى الحق فلو كان قتل
الانبياء من قضائه كان حقا وكان يجب علينا الرضاء به لانه يجب
علينا الرضاء بقضائه وقد امر الله ان لا يرضى بغير الحق ولا يرضى بغير
الحق ولا يرضى بقتل الانبياء فعلمنا ان قتلهم ليس بقضاء
ربنا ولا من فعل خالقنا ومما يبين ان الله لم يقدر الكفر قول الله تعالى
في كتابه سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
ولم يقل انه قدر الضلال على خلقه ولا قدر الشقاء على خلقه لانه لا يجوز
ان يتمدح بانه قدر بالهدى وقدر الضلال عن الحق وكل ضلال عن الحق

فمن

فمن تمدح به جل وعز عن ذلك علواً كبيراً **فصل** فان قيل فما معنى
قول الله تعالى خالق كل شيء وخلق كل شيء قيل له انما اراد به خلق السموات
والارض والليل والنهار والجن والانس وما اشبه ذلك ولم يرد انه
خلق الكفر والظلم والكذب اذ لم يجز ان يكون ظالما ولا كاذبا عز وجل
وقد بين الله لنا صنعه فقال صنع الله الذي اتقن كل شيء فلما لم يكن
الكفر متقن ولا محكم ولا حق ولا عدل علمنا انه ليس من صنعه لانه متفاوت
متناقض وقد قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيراً فاخبرنا ان الاختلاف لا يكون من عنده وقال تعالى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت والكفر متفاوت فاسد متناقض فثبت
انه ليس من خلقه وانه عمل الكافرين فان قال فلم زعمتم ان قوله كل
شيء قد خرج منه بعض الاشياء قيل له قد قال الله تعالى ان زلزلة
الساعة شيء عظيم ولم يخلقها والايمان الذي امر الله فرعون و
الكافرين لم يخلقه فثبت ان الاشياء في بعض الاشياء دون
بعض وقد قال الله تعالى واوتيت من كل شيء ولم توت من ملك
سليمان ع شيئا وانما اراد من ما اوتيته دون ما لم توتيه و
قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وقد علمنا انه لم يجبى اليه

ثمرات الشرق والغرب وانما اراد مما يجبى كذلك قوله تعالى خالق
كل شئ مما خلقه وقال فتحنا عليهم ابواب كل شئ ولم يفتح
عليهم ابواب السماء وانما اراد ما فتح عليهم وقال فيه تبيان
كل شئ ولم يرد تبيان عدد النجوم وعدد الانس والجن وانما اراد
بيان ما بالخلق اليه حاجة في دينهم وقال تدمر كل شئ بامر ربها
ولم يرد انها تدمر هودا والذين معه انما تدمر من ارسلت لتدميره
وقال انطقنا الله الذي انطق كل شئ ولم ينطق الجمادة والحركات
والسكنات وما اشبه ما ذكرنا كثير كذلك ايضا قوله بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ فقدره
تقديرا اراد الازواج والاولاد والاجسام لان هذا رد على النصارى
ولم يرد الفجور والفسوق وما ذكرنا في اللغة مشهور قال لبيد بن
ربيعة * الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل *
ولم يرد ان الحق باطل ولا ان شعره هذا الذي قاله باطل وقد قال كل شئ
وانما اراد بعض الاشياء يقول قائل دخلنا الشرق فاشترينا كل شئ
ورأينا كل شئ حسن وانما يريد كل شئ مما اشتروا وكل شئ مما
راوا وكل خالق كل شئ مما خلقه لا مما فعله عباده لانه يجوز ان يفعل

خ ل
السوق
اظن هذا هو الصحيح وذلك غلط
من الكاتب

العباد

العباد خلق رب العالمين ويقال لهم ان كان يجب ان يكون اعمال ٧٠
العباد خلق الله بقول الله خالق كل شئ فيجب ان يكون كل ما خلقه
حسنا بقوله الذي احسن كل شئ خلقه فيجب ان يكون الشرك حسنا
وكذلك الظلم والكذب والفجور والفسوق لان ذلك عندهم خلق
الله تعالى فان قالوا ان قوله الذي احسن كل شئ خلقه انما اراد بعض
الاشياء قيل لهم فما انكرتم ان يكون قوله خالق كل شئ انما وقع
على كل شئ خلقه دون ما لم يخلقه وما يقدر عليه ويعلم انه لا يفعله
وهو مما يفعله عباده من الطاعة والمعصية فان قال قائل فما معنى
قوله والله خلقكم وما تعملون قيل له انما خبر الله تعالى عن ابراهيم
انه حاج قومه فقال لهم تعبدون ما تنحتون ثم قال والله خلقكم
وما تعملون يقول نحتم خشبا ثم عبدتموه على وجه التوبيخ ثم قال والله
خلقكم وما تعملون يقول خلقكم وخلق الخشب الذي عملتموه
صنما فسمى الصنم الذي عملوه عملا لهم وان كان الذي حل
فيه من التصوير هو عملهم ولما ذكرنا نظائر من القران واللغة
فاما القران فقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل و
جفان كالجوات وقدور راسيات اعملوا وانما عملهم حل في هذه

الامور فاما الحجارة فهي خلق الله تعالى لا فاعل لها غيره ومن ذلك ايضا
قوله واصنع الفلك فالخشب خلق الله والعباد نجروه وعملوه فلكا
وسفنا ومن ذلك ايضا قوله ان اعمل سابغات فالحديد خلق
الله ولكن العباد عملوه دروعا فعل داود عم طلع الحديد
والحديد خلق الله وقال في الحية تلقف ما صنعوا وانما يريد
انما تلقف الحبال والعصي التي فيها صنعهم فكذلك قال لم تعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون خلق الخشب الذي يعملون
منه صنما لا ان العباد عملوا خلق الله ولا ان الله خلق اعمالهم
وقد يقول القائل فلان يعمل الطين لبنا ويعمل الحديد اقفالا و
يعمل الخوص زنبلا كذلك ايضا عملوا الخشب اصناما فجاز ان يقال
انما عملهم كما قيل انهم يعملون الطين والخوص والحديد
ثم نرد هذا الكلام عليهم فنقول لهم اذا زعمتم ان كفرهم
خلقهم وقال ابراهيم محتجا عليهم في قولهم ان الله خلق اعمالكم
فلما قالوا يا ابراهيم اذا كان الله خلق فينا الكفر ولا يمكننا
ان نرد ما خلق الله فينا ولو قدرنا لفعلنا وانت تامرنا بامر
لا يكون خلق الله فينا فانما يامرنا بان لا يخلق الله خلقه

ما شاء الله

ما شاء الله بل لو قالوا ذلك لتبين ابراهيم عم ان كفرهم غير خلق الله
ولو كان خلق الله ما عذبوا عليه ولا ذموا عنه وقد قال الله تعالى ولا تبديل
لخلق الله فلو كان خلقا لله ما بدلوا وما عذبوا الا على كفرهم الذي هو غير
خلق الله وان خلق الله هو الحكمة والصواب والكفر سفه وخطاء
فثبت ان الحكمة غير السفه والخطا غير الصواب ولا كراهة طول الكتاب
وخوف ملال القاري لاتينا على كل شي مما يسئلون عنه من المتشابه في
تصحيح مذهبهم وفيما ذكرنا كفاية ودلالة على ما لم نذكر وعلى انا لو قد اودعنا
كتابنا صفوة النقل من ذلك كان فيه بلاغ والحمد لله رب العالمين **فصل**
ان سئل سائل فقال اتقولون ان الله هدى الكافر قيل له ان الهدى على
وجهين هدى هو دليل وبيان فقد هدى الله هذا الهدى كل مكلف بالغ
الكافر منهم والمومن وهو الثواب والنجاة فلا يفعل الله هذا الهدى الا هذا
بالمومنين المطيعين القائلين عن الله ورسوله صلعم فان قال فما
الدليل على ان الهدى ما تقولون قيل الدليل على ان الهدى فاخذتهم
الصاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون فقد خبر الله تعالى انه هدى
ثمود الكفار فلم يهتدوا فاخذتهم الصاعقة بكفرهم فقال تعالى ان هي الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون

الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى يعني الدلالة
والبيان وقال تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى من
ربهم الهدى يعني الدلالة والبيان وقال انا هديناه السبيل اما
شاكرا واما كفورا يعني دللناه على الطريق وقال الذين استكبروا
للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل
كنتم قوما مجرمين فخبروا في الاخرة ان الهدى قد اتى من الله ا
الكفار وان لم يهتدوا وانما هدى الله هدى الدليل وقال
لنبيه صلعم وانك لتهدي الى صراط مستقيم يعني تدل وتبين وما اشبه
ما ذكرنا اكثر من ان ناتي عليه واما ما يدل على ذلك من اللغة فان كل
من دل على شيء فقد هداه اليه فلما كان الله تعالى قد دل الكفار على
الايمان ثبت انه قد هداهم الى الايمان فاما هدى الثواب الذي لا يفعله
الله تعالى بالكافرين فمنه قوله تعالى والذين قتلوا في سبيل الله فلن
يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم وانما يهديهم بعد القتل بان
ينجيهم ويثيبهم وقال الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم جنات تجري من تحتهم الانهار وانما يهديهم بايمانهم
بان ينجيهم ويثيبهم ربهم وقال يهدي الله من اتبع رضوانه

سبل

٧٣

سبل السلام وقال الهدى اليه من اناب يعني من ناب فهذا الهدى وما
اشبهه لا يفعله الله الا بالمؤمنين القائلين للحق فاما قرين الدليل فقد
هدى الله الخلق اجمعين كلما سئلت عن اية من الهدى من الله تعالى
فردها الى هذين الاصلين فانه لن يخلو من ان يكون على ما ذكرناه
ولولا كراهة التطويل لسئلنا انفسنا عن اية اية مما يحتاج الى
البيان وفي هذه الجملة دليل على ما نسئل عنه فصل فان قيل ا
فيقولون ان الله اضل الكافرين قيل له نقول ان الله اضلهم با
عاقبهم واهلكهم عقوبة لهم على الكفر كفرهم ولم يضلهم عن الحق
لا اضلهم بان افسدهم جل وعز عن ذلك فان قالوا لم زعمتم ان الضلال
قد يكون عقابا قيل لهم قد قال الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يعني
في هلاك وسعر يعني سعر النار فيهم اذ ليس في ضلال هو كفر او نسق
لان التكليف زايل في الاخرة وقد بين الله من يضل فقال ويضل الله
الظالمين وقال ويضل الله الكافرين وقال وما يضل به الا الفاسقين
وقال وكذلك يضل من هو مسرف كذاب وقال وكذلك يضل
الله من هو مسرف مرتاب ثم اوضح الامر وجزم انه لا يضل الا بعد
بعد اقامة الحجة فقال وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم

حتى يبين لهم ما يتقون فاخبر انه لا يضل احدا حتى يقيم الحجة عليه فاذا
ضل عن الحق بعد البيان والهدى والدلالة اضلهم بان اهلكهم وعاقبهم
واما الضلال الذى ننفيه عن ربنا تعالى فهو ما اضافه الله الى غيره فقال
واضلهم السامرى يقول اضلهم بان قال انا ربكم الاعلى وامرهم بالكفر
ودعا اليه والله لا يامر بعبادة غيره ولا يفسد عباده وقال فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين
وقال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون يريد انه افسد
وغر وخدع والله لا يغر العباد ولا يظهر فى الارض الفساد وقال
يخبر عن اهل النار انهم يقولون وما اضلنا الا المجرمون يريدون من
ما افسدنا ولا غرنا ولا زين الكفر والمعاصى الا المجرمون ولم يقولوا
ما اضلنا الا رب العالمين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وكل
اضلال اضل الله به العباد فانما هو عقوبة لهم على كفرهم وفسقهم
واما من خالفنا فزعموا ان الله تعالى يبتدى كثيرا من عباده بالاضلال
عن الحق ابتداء من غير عمل وان من قولهم ان عبدا مجتهدا فى طاعة
الله لو قد عبده مائة عام ثم لا يامنه ان يضله عما هو عليه من طاعته
فيخلق فيه الكفر ويزين عنده الباطل وان يعبد غيره مائة عام ويكفر به

ثم لا يامن

ثم لا يامن ان يخلق فى قلبه الايمان فينقله عما هو عليه فليس يبقى وليه
بولايته ولا يرهب عدوه من عداوته **فصل** فان سئل سائل فقال
ما معنى قوله انك لا تهدى من احببت فقيل له معنى ذلك انه لا تنجى من
العذاب من احببت لان النبى صلى الله عليه وسلم كان حريصا على نجاة اقاربه بل كان
من دعاه فان قيل فلم زعمتم ان هذا هو تاويل الاية قيل له لما كان الله
قد هديهم بان دلهم على الايمان علمنا انه لم يهدهم هذا الثواب وقد بين
الله تعالى ان الهدى بمعنى الدليل قد هديهم به فقال ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى يعنى الدلالة والبيان
فان قال فما معنى قوله ليس عليك هديهم ولكن الله يهدى من يشاء
قيل له انما اراد به ليس عليك نجاتهم ما عليك الا البلاغ ولكن الله ينجى
من يشاء فان قيل فلم قلتم هذا قيل له لما اخبر الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد هدى الكافر فقال انك لتهدى الى صراط مستقيم وانما يريد انك
تدل فلما كان قد دل المومن والكافر كان قد هدى المومن والكافر فعلمنا
انه اراد بهذه الاية هو هذا الثواب والنجاة فيقس على ما ذكرنا جميع ما
نسئل عنه من امثال هذه الاية **باب الكلام فى الارادة** فان سئل
سائل فقال اتقولون ان الله تعالى اراد الايمان من جميع الخلق المامورين

والمنهيين او اراد ذلك من بعض دون بعض قيل له بل اراد ذلك من
جميع الخلق ارادة بلوى واختيار ولم يرده ارادة اجبار واضطرار وقد
قال الله تعالى كونوا قوامين بالقسط كما اراد ان يكونوا قردة خاسئين
لكانوا كلهم قوامين شاءوا وابوا ولكن لو فعل ذلك ما استحقوا
حمدا ولا اجرا ومما يدل من القران على ان الله تعالى اراد بجعله الخير والصلاح
ولم يرد بهم الكفر والضلال قوله سبحانه تريدون عرض الدنيا و
الله يريد الاخرة فاخبر ان ما اراد غير ما ارادوا وقال يريد الله ان
يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما فاخبر انه اراد تعالى
في خلقه الهداية والتوبة والبيان ثم قال والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما
فاخبر ان ما اراد الله منهم غير ما اراد غيره من الميل العظيم وقال يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره فاخبر
انه انما يابى ما اراده العباد من اطفاء نور الله وقال وما الله يريد
ظلما للعباد وقال وما الله يريد ظلما للعالمين فاخبر انه لا يريد الظلم
بوجه من الوجوه ولو جاز ان يريد الظلم وهو يقول وما الله تعالى
عما

عما تعملون لم يجز ان يامر بالفحشاء بوجه من الوجوه ولو جاز ان يريد
الظلم وهو يقول وما الله يريد ظلما للعالمين لجاز ان يرضى بالكفر
ويحب الفساد ويامر بالفحشاء مع هذه الايات فلما لم يجز ذلك لم
يجز ان يريد الظلم ومما يدل على ان الله لم يرد الكفر والفجور انا وجدنا
المريد لشتم نفسه سفيه غير حكيم فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا
انه لا يريد شتمه ولا سوء الثناء عليه وايضا فان الكفار اذا فعلوا
ما اراد من الكفر كانوا محسنين لان من فعل ما اراد الله تعالى فقد
احسن فلما لم يجز ان يكون الكافر محسنا في شتمه الله ومعصيته
له علمنا انه لم يفعل ما اراد الله وايضا فانه لو جاز ان يريد الكفر به
ويكون بذلك ممدوحا فلما لم يجز ان يرضى بالكفر ولا يحبه لم يجز ان
يريده وايضا فان من امر العباد بما لا يريده فهو جاهل فلما كان ربنا
احكم الحاكمين علمنا انه لم يامر بشيء لا يريده لان من امر بمدحه ولم يرد
ان يفعله ونهى عن شتمه واراد ان يفعل فهو جاهل ناقص فلما كان
الله احكم الحاكمين علمنا انه لا يريد ان يشتم ولا يثنى عليه بسوء
الثناء تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **فصل** شبهة لهم قالوا
لو اراد الله سبحانه من زيد الايمان فوقع خلافه وهو مراد الشيطان

والعبد لكانا قد عجزا الله سبحانه ووجب ان يكونا اقدر منه الجواب
عن ذلك انه يقال لهم لم قلتم ذلك فان قالوا لانا نعلم ان جند السلطان
لو فعلوا ما لا يريده لدل على عجزه وقلة قدرته قيل لهم انما صح ذلك لان
السلطان لم يكن ممن يصح منه التكليف او ممن له قدرة على الانتصاف
منهم في اي وقت اراد ولا يخاف الفوت ولم يكن ايضا ممن يعلم
مقدار الحسنة والجزاء عليها والسيئة والاخذ بها وايضا فان السلطان
يتألم اذا لم يقع مراده ويسر بوقوعه وكل هذه الاوصاف منتفية عن
القديم تعالى فافترق بين الامرين ولم يكن للقياس الذي اعتمدوا عليه
معنى في هذا الموضع وانما يجب ان يجمع بين المعتدين بعلة والامر هاهنا
بخلاف ذلك ثم يقال لهم ان كان يجب ان يكون عاجزا لو اراد
منهم الطاعة ارادة اضطرار واجبار ثم لم تقع فاما وقد اراد ارادة البلوى
والاختيار فهذا ما لا يخفى الا على المسكين واذا كان كل ذلك فلا يكون
منا التعجيز لله تعالى اذ فعل العباد ما لا يريده من الكفر ولم يفعلوا
ما اراده من الايمان لانه لم يرد انه يحمله عليه حملا ويلجئهم اليه الجاء
فيكون منهم على غير سبيل التطوع وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه
فقال ان نشأ ننزل عليهم اية من السماء فظلت اعناقهم لها خاضعين
فاخبر

٧٥

فاخبر انه لو شاء لاحدث اية يخضع عندها الخلق ولكنه لو فعل ذلك ما
استحقوا حمدا ولا جزاء ولا كرامة ولا مدحا لان الملجأ لا يستحق حمدا
ولا جزاء لانه انما يستحق ذلك المختار المستطيع وقد بين الله تعالى
فقال فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
قال الله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فاخبر انه لا
ينفع الايمان اذا كان العذاب والالجاء وقال تعالى يوم ياتي بعض ايات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا فاخبر انه لا ينفع الايمان في حال الالجاء وقال عز وجل حتى اذا
ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين قال الله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين فاخبر انه لا ينفع الايمان في وقت الالجاء والاكراه
قال عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فاخبر انه لا تنفع التوبة في حال
المعاينة وما اشبه ما ذكرنا كثيرا ثم يقال لهم فاذا كان العبد يفعله

ما يريد الله قد عجز فيجب ان يكون يفعله ما يريد قدا قدره ومن انتهى
قوله الى هذا الحد فقد استغنى عن الرد وبحث مؤنته **فصل** فان
سئلوا عن معنى قوله تعالى ولو شاء لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين قيل لهم معنى ذلك لو شاء ربك لالجأهم الى
الايمان ولكنه لو فعل ذلك لزال التكليف فلم اشيا ذلك بل شاء ان يطيعوا
على وجه التطوع والايثار لا على وجه الاجبار والاضطرار وقد بين الله ذلك
فقال افانت تكره الناس يريد اني انا اقدر على الاكراه منك ولكنه لا
اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وكذلك الجواب في قوله ولو شاء
ربك ما فعلوه ولو شاء لهديهم اجمعين وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا
الذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم
من امن ومنهم من كفر ولو شاء لحال بينهم وبين ذلك ولو فعل
ذلك لزال التكليف عن العباد لانه لا يكون الامر والنهي الا مع الاختيار
لا مع الالجاء والاضطرار وقد بين الله ذلك بما ذكرنا من قوله ان
نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين فاخبر
انه لو شاء لاكرههم على الايمان في وقت الاكراه وقد بين الله في
كتابه العزيز انه لم يشاء الشرك وكذب الذين اضافوا اليه ذلك فقال تعالى

ويقال ان ذلك ما ذكرنا من قصر ... ويعجزون

لم ينفعهم الايمان ...

سيقول

٧٦

سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ربنا ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شيء فاخبروا انهم انما اشركوا بمشيته الله تعالى فكذلك كذبهم ولو كان
اراد وانه لو شاء الله لحال بيننا وبين الايمان لما كذبهم الله قال
الله تعالى تكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا
يعني عذابنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا يعني هل عندكم من علم
ان الله يشاء الشرك ثم قال ان تتبعون الا الظن وان انتم الا
تخرصون يعني تكذبون كقوله قتل الخراصون وقال عز وجل ما لهم
بذلك من علم انهم الا يخرصون يعني يكذبون وقال عز وجل وقال
الذين اشركوا لو شاء ربنا ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على
الرسل الا البلاغ المبين عن ان الرسل قد دعت الى خلاف ما شاء
الله فعلمنا ان الله تعالى لم يشاء الشرك فان قال بعض الاغبياء فهل
يشاء العبد شيئا او يكون للعبد ارادة قيل له نعم قد شاء ما امكنه
الله من مشيته ويريد ما امره الله بارادته فالقوة على الارادة
فعل الله والارادة فعل العبد والدليل على ذلك قول الله تعالى وقال
الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين

نارا احاط بهم سرادقها وقال تعم فمن شاء اتّخذ الى ربّه سبيلا
قال ومن شاء اتّخذ الى ربّه مابا وقال ترجى من تشاء منهنّ و
تؤى اليك من تشاء وقال وكذلك مكنّا ليوسف فى الارض
يتبوّء منها حيث يشاء وقال كلاّ من حيث شئتما وقال وكذلك
مكنّا فاتوا حرثكم انّى شئتم وقال لو شئت لاتّخذت عليه اجرا
وقال تعم فيما بين انّ العبد قد يريد ما يكره الله من ارادته فقال
يريدون عرض الدّنيا والله يريد الاخرة وقال ويريد الذّين يتّبعون
الشّهوات ان تميلوا ميلا عظيما وقال لو ارادوا الخروج لاعدّوا
له عدّة فاخبر انّهم لو ارادوا الفعلوا كما فعل من اراد الخروج وقال
يريدون ان يبدّلوا كلام الله وقال الشّيطان يريد ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء وما اشبه ما ذكرنا اكثر من ان ياتى عليه
فى هذا الموضع فان قال فما معنى قوله وما يشاؤن الاّ ان يشاء الله
قيل له انّ الله ذكر هذا المعنى فى موضعين وقد بيّنهما ودلّ عليهما
باوضح دليل واشفى برهان على انّما مشيّته فى الطّاعة فقال
فمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الاّ ان يشاء ربّ
العالمين فهو عزّ وجلّ يشاء الاستقامة ولم يشاء الاعوجاج ولا

الكفر

انّهم

77

الكفر وقال فى موضع اخر انّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربّه سبيلا
وما تشاؤن الاّ ان يشاء الله فالله قد شاء اتخاذ السّبيل ولم يشاء
العباد ذلك الاّ وقد شاء الله تعم لهم فامّا الصّدّ عن السّبيل وصرف
العباد عن الطاعة فلم يشاء عزّ وجلّ ويقال لهم اليس المريد لشتمه غير
حكيم فمن قولهم نعم قيل لهم او ليس المخبر بالكذب كاذبا فمن قولهم نعم يقال
لهم وقد زعمتم انّ الله يريد شتمه ويكون حكيما فلا بدّ من الاقرار بذلك
او يتركوا قولهم ويقال لهم فما انكرتم ان يخبر بالكذب ولا يكون كاذبا فان
منعوا من ذلك قيل لهم ولا يجب ان يكون حكيما بارادة السّفه وارادة
شتم نفسه ولا يجدون الى الفصل سبيلا فان اجازوا على الله ان
يخبر بالكذب لم يامنوا بعد اخباره العبث البعث والنشور والجنّة و
النّار انّما كذب كلّها ويكون بذلك صادقا ولا يجدون من الخروج
من هذا الكلام سبيلا يقال لهم فما تريدون انتم من الكفّار فان
قالوا نريد من الكفّار كفرا فقد اقرّوا على انفسهم بان يريدوا ان
يكفروا بالله فيجب عليهم ان يجبروا بذلك على النّبى م بان يكون مريدا
للكفر بالله تعم وهذا غاية سوء الثناء عليه وان قالوا انّ الذّى نريده
من الكفار الايمان قيل لهم فايّما افضل ما اردتم من الايمان او ما اراده الله

من الكفر فان قالوا ما اراد الله خير مما اردنا من الايمان فقد زعموا
ان الكفر خير من الايمان وان قالوا ان ما اردنا من الايمان خير مما اراد
الله من الكفر فقد زعموا انهم اولى بالخير والفضل من الله وكفاهم
بذلك خزيا فيقال لهم فما يجب على العباد ايجب عليهم ان يفعلوا ما
تريدون انتم او ما يريد الله فان قالوا ما يريد الله فقد زعموا ان على اكثر
العباد ان يكفروا اذا كان الله تعالى يريد لهم الكفر وان قالوا انه يجب
على العباد ان يفعلوا ما يريد من الايمان ولا يفعلوا ما يريد الله من
الكفر فقد زعموا ان اتباع ما ارادوا هم واوجب على الخلق من اتباع
ما اراد الله وكفاهم هذا قبحا ولولا كراهة طول الكتاب لسئلناهم في
قولهم ان الله تعالى اراد المعاصي عن مسائل كثيرة يتبين فيها فساد قولهم
وفيما ذكرنا الكفاية والحمد لله رب العالمين ومما جاء من الحديث مما
يصحح مذهبنا في القضاء والمشيئة وغير ذلك ما ذكرنا فمن ذلك ما
روي عنه ص انه قال لا يؤمن احدكم حتى يرضى بقدر الله تعالى و
هذا مصحح لقولنا لانا بقدر الله راضون وبالكفر غير راضين
وروي عن عبد الله بن شداد عنه ص انه كان يقول في دعائه اللهم
رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا احب تعجيل ما اخرت

ولا تاخير

ولا تاخير ما عجلت والنبي ص لا يجوز ان يرضى بالكفر ولا بالظلم وروي
عنه ص انه قال سيكون في اخر هذه الامة قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون
هي من قضاء الله وقدره فاذا القيتموهم فاعلموهم اني منهم بريء وروي
عنه ع انه قال رجل بابي انت وامي متى يرحم الله عباده اذا عملوا بالمعاصي
فقالوا هي منا ويعذب الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقالوا هي من الله
قضاء وقدر وروي ان عمر بن الخطاب اتي بسارق فقال له ما حملك
على هذا فقال قضاء الله وقدره فضربه عمر ثلثين سوطا ثم قطع يده
فقال قطعت يدك لسرقتك وضربتك لكذبك على الله تعالى وهذا
خبر قد رواه جميع الحشوية ومعظم رواة العامة ونقله احمد بن حنبل
وغيره من الرواة وروي عن الاصبغ بن نباتة قال لما رجع امير المؤمنين
علي بن ابي طالب من صفين قام اليه شيخ فقال يا امير المؤمنين اخبرنا
عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء وقدر فقال له والذي فلق الحبة
وبرء النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا
بقضاء وقدر فقال له الشيخ احتسب عنائي والله ما ارى
ان لي من الاجر شيئا فقال له ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم
بمسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا

في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين فقال وكيف لم تكن
مضطرين والقضاء والقدر ساقانا عنها كان مسيرنا ومنصرفنا
فقال له ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك
كذلك بطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله
والنهي ولم تكن تاتي لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم تكن المحسن
اولى بالمدح من المسيء ولا المسيء اولى بالمذنب من المحسن تلك
مقالة عبدة الاوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمن وشهود
الزور والبهتان واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة و
مجوسها ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا
واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل
الرسل العبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولم يخلق السموات والارض
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال
الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا الا بهما قال ذلك الامر
من الله والحكم ثم تلا هذه الاية وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول شعر انت الامام
الذي نرجو بطاعته ✻ يوم النشور من الرحمن رضوانا ✻ اوضحت

اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ✻ جزاك ربك بالاحسان احسانا •
وروي عن جابر عن النبي صلعم انه قال يكون في اخر الزمان قوم يعملون
بالمعاصي ثم يقولون الله قدرها علينا الراد عليهم يومئذ كالشاهر
سيفه في سبيل الله وروي ان رجلا جاء الى الحسن البصري فقال يا
ابا سعيد اني طلقت امراتي ثلاثا فهل لي من مخرج فقال ويحك ما
حملك على ذلك قال القضاء فقال له الحسن كذبت على ربك وبانت
منك امراتك وروي ان الحسن البصري ايضا مر بفضيل بن
برجان وهو مصلوب فقال ما حملك على السرقة قال قضاء الله
وقدره قال كذبت يا لكع ايقضي عليك ان تسرق ثم يقضي عليك
ان تصلب وروي ان ابن سيرين سمع رجلا وهو يسئل عن
رجل اخر فقال ما فعل فلان فقال هو كما شاء الله كان رجلا صالحا و
ما اشبه هذا الكثير يحصى ولو لم يكن ورد عن رسول الله صلعم
عن الاثار ما نعلم بطلان مذهب القدرية والمجبرة الا الخبر المشهور الذي
تلقته الامة بالقبول وهو ما رواه شداد بن اوس قال سمعت
رسول الله صلعم من قال حين يصبح او حين يمسي اللهم
انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على

عَهْدِكَ وَوَعدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ اَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ وَ
اَقِرُّ لَكَ بِالنِّعمَةِ وَاَقِرُّ عَلَى نَفْسِي بِالذَّنْبِ فَاغْفِرْ لِي فَاِنَّهُ لَا
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ اِلَّا اَنْتَ وقال ابن سيرين لرجل له مملوك لا تكلفه
ما لا يستطيع فان كرهته فبعه وقال عم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما
استطعتم وروى انه قال لفاطمة عم حين لحدمها غلاما لا
تكلفيه ما لا يطيق وروى عنه عم انه قال عم فاستغفروا عن البشر لي
ما استطعتم وهذه الاخبار مما يستدل بها على بطلان قولهم في الا
الاستطاعة وتصحيح قولنا ان الانسان مستطيع وان الله
تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون وانما اوردناها لتكون دستا لنا
هذه غير محتاجه الى غيرها في هذا المعنى ومن ذلك ايضا ما روى
عن بنت رقيقة قالت يا بنت رسول الله صلعم في نسوة فاخذ
علينا ما في الاية لا يسرقن ولا يزنين الاية ثم قال فيما استطعتن
واطقتن قالت قلنا الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا وذكر
قتادة قال بايع رسول الله صلعم اصحابه على السمع والطاعة فيما
استطاعوا وهذا يدل على كل منطق على ان رسول الله وانبيا عم
لم يلزموا العباد الطاعة الا فيما استطاعوا وكيف يجوز على ارحم

الراحمين

الراحمين واحكم الحاكمين ان يكلف عباده ما لا يطيقون وان يلزمهم ما
لا يجدرون وروى عن النبي صلعم انه قال واحاتبين من ابن ادم
بطنه فمن استطاع ان يدخل بطنه الا طيبا فليفعل فقال عم من استطاع
ان ينفع اخاه فليفعل فلم يوجب عليه السلام على احد شيئا الا بعد
الاستطاعة وقال عم من استطاع منكم ان يقي وجهه حر النار
ولو بشق تمرة فليفعل فلم يرغبهم عم الا فيما يستطيعون وروى
بن عباس قال قال رسول الله الا انبئكم باعز الناس قالوا بلى
قال الذي يعفو اذا قدر فبين عم انه انما يكون العفو اذا قدر العبد
واذا لم يقدر فلا يكون العفو وقد قال الله تعم واعفوا واصفحوا
وقال فاعف عنهم واصفح وقال خذ العفو وامر بالمعروف علمنا
انه كان يقدر على ان يعاقب فلذلك امره بالعفو ولا يجوز ان
يعفو عن ما لا يقدر له على مضرة ولا على منفعة وروى عنه عم انه
قال من كظم غيظا وهو قادر على امضائه ملاء الله قلبه يوم القيمة
رضا وروى عن بن عباس في قوله تعم وقد كانوا يدعون الى
السجود وهم سالمون قال وهم مستطيعون في دار الدنيا وروى
عنه عم انه قال يسروا ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا اخير دينكم

٦٠

اليسر وبذلك اتاكم كتاب الله قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر يريد الله ان يخفف عنكم واعلموا رحمكم الله انه لو كان
كلف خلقه ما لا يطيقون كان غير مريد بهم اليسر وغير مريد للتخفيف
عنهم لانه لا يكون اليسر والتخفيف في تكليف ما لا يطاق وروى
سعيد بن عامر بن حذلم لما استعمله عمر بن الخطاب على بعض
كور الشام خرج معه يوصيه فلما انتهى الى المكان قال له سعيد و
انت فاتق الله وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله
واحب لقريب المسلمين وبعيدهم تحبه لنفسك واهل بيتك
اقم وجهك بعيد الله ولا تقض بقضائين مختلف عليك
امرك وتنزع الى غير الحق وخض الغمرات الى الحق ولا تخف في
الله لومة لائم فاخذ عمر بيده فاقعده ثم قال ويحك من
يطيق هذا انظر كيف وصاه وامره بان يفعل الخير ويجتهد
في تحصيله وما اشبه هذا الحديث اكثر من ان يحصى تمت
الرسالة والحمد لله رب العالمين هذه رسالة السيد المرتضى
رضي الله تعالى عنه في انقاذ البشر من القضاء والقدر في ثلثه
من شهر صفر المظفر في ١٣٠٥ بيد اقل الطلاب محمود التركي
والسلام

[illegible]